أجمعوا على نجاح المؤسس وأبنائه الملوك في إقامة دولة حديثة .. ساسة ومفكرون ومؤرخون:

الملك عبدالعزيز .. قائد معركة الأصالة والمعاصرة

○ الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله. (عكاظ) ○

عكاظ (الرياض)

أجمع عدد من الساسة والمفكرين والمؤرخين في العالم على نجاح الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) ومن بعده أبناؤه الملوك في إقامة الدولة الحديثة في المملكة العربية السعودية والمجتمع المدني المتحضر الذي يجمع بين الشريعة الإسلامية والعلم والاقتصاد والمعرفة.

واستعرضوا في رؤية تصورية مناقب وإنجازات الملك عبدالعزيز كونه نموذجا بارزا وقدوة في السياسة والحنكة والقيادة بتطبيق الشريعة الإسلامية السمحة القائمة على عقيدة صحيحة وفهم سليم ونية صادقة مقرونة بما عرف عنه (رحمه الله) من حلم وأناة وحكمة وقوة في الحق.

فقد قال مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد حسنين مخلوف والحائز على جائز الملك فيصل العالمية: «أسس عبدالعزيز ملكا شعاره كلمة التوحيد الخالص، وأساسه إعزاز الإسلام، وأهدافه إسعاد الأمة التي لبثت دهورا ترزح تحت أثقال الظلم والجبروت وتعاني أقسى الشدائد وشر ضروب الفوضى بل عمل على إسعاد المسلمين الوافدين من أقطار المعمورة لزيارة بيت الله المعظم ومسجد رسوله (صلى الله عليه وسلم) وتأمين السابلة في جميع أنحاء المملكة تأمينا منقطعا في جميع ممالك العالم حتى أصبح مضرب الأمثال وعنوان الملك العادل».

وأضاف: «عندما أعاد الملك عبدالعزيز تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في أرجاء الجزيرة حقق لمجتمعها ما كان يفتقده من الأمن والاستقرار وقدم نموذجا حيا لصلاحية هذا التطبيق ونتائجه الملموسة التي تحدثت عنها كثير من الشهادات الصادقة».

وكان لرئيس جامعة الأزهر الأسبق الدكتور محمد الطيب النجار (رحمه الله) حديث عن استتباب الأمن على يدي الملك عبدالعزيز، حيث قال: «حسبه أنه استطاع أن يحول المملكة إلى الأمن والاستقرار الشامل الذي صار مضرب الأمثال وحديث القرون والأجيال، ولا غرو فقد قام بتطبيق الشريعة الإسلامية وأقام الحدود المشروعة فلم تأخذه في الحق لومة لائم ولم يفرق بين شريف وضعيف بل تأسى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأعلن الحرب على من يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا».

وأرجع أحد المؤرخين الغربيين أسباب العدالة في عهد الملك عبدالعزيز إلى اعتماده على الشريعة، حيث قال وليمز أرمسترونج: «العدالة في مملكة ابن سعود قائمة على أساس الشرع الشريف وهو القانون المقدس عند المسلمين وهو ذلك القانون المرن الحكيم».

وأشار إلى أن سياسة الملك عبدالعزيز لم تغفل أمر الشورى، ونجح في تحقيق نموذج عملي مطبق للشورى لأول مرة في العصور الحديثة فاجتمع حوله كوكبة من أهل الرأي والعلم والفضل المشهود لهم في عصره.

ومن جانبه، قال الشيخ إبراهيم محمد سرسيق أحد علماء الأزهر: «ما كان للملك عبدالعزيز الذي أقام مملكته على دعامة الإسلام أن يغفل أمر الشورى، ولاحظنا الحرص الشديد منه على إحقاق الحق بين رعيته وإزهاق الباطل مهما كان نوع هويته وأدركنا تعلقه بالشورى في أكثر قراراته وتصرفاته لا سيما ما كان منها متعلقا بالجموع الغفيرة من المسلمين وما كانت مجالسه اليومية التي يحشد لها العلماء والخبراء وأهل الرأي والنظر من خاصته إلا معارض لإبداء الرأي الحر في غير مخافة ولا تردد.

وأضاف: «إن معركة التنمية التي خاضها الملك عبدالعزيز لم تقل في أهميتها وخطورتها كما قال معاصروه عن معركته في استرداد الرياض إن لم تكن تفوقها أهمية وخطورة، فقد كانت الجزيرة العربية قبل أن يوحدها الملك عبدالعزيز تعيش في عزلة تامة عن العالم المتقدم يمزقها الفقر والجهل والمرض إلى أن أرسى الملك عبدالعزيز دعائم المملكة العربية السعودية فكانت التنمية والتطور.

وعرف الملك عبدالعزيز أن التحدي الحقيقي الذي يواجهه في تحقيق التحضر والوحدة والأمن والتقدم لهذه المملكة يكمن في الانتقال بها من حياة البداوة إلى حياة الحضارة من خلال منظومته في الحكم والتربية والتعليم والزراعة وحفر الآبار وتحقيق الارتباط بالأرض والمكان بواسطة الارتباط بمصالح معينة معيشية، وقد أعد (رحمه الله) لذلك كل متطلبات النجاح».

وقال السياسي البريطاني أنتوني ناتنج في سياق حديثه عن إنجازات الملك عبدالعزيز التنموية: «نجح الملك عبدالعزيز في تحويل مجتمع الجزيرة العربية من قبائل مقتتلة إلى شعب يعي معنى المواطنة والاستقرار، والتحول من طور البداوة والرعي والارتحال إلى الزراعة والأسرة، كما نشر روح المعرفة وطلب العلم بل وتطوير مفاهيم مجتمع برمته والانتقال به من التخلف إلى مرحلة جديدة تماما من الحضارة البشرية رقيا وتقدما».

وأشار إلى أن الملك عبدالعزيز أدرك بحسه أن الاستقلال التام لدولته يتطلب الاعتماد على الذات في الغذاء أولا، فحرص على بذل الجهد لتوفير المياه للزراعة وحقق في ذلك نجاحا استقطب أكبر معاصريه من المفكرين.

وتناول المؤرخ الإنجليزي كنت وليمز اهتمام الملك عبدالعزيز باستثمار وإصلاح وزراعة الأراضي الجرداء بالمملكة، قائلا: «إن الجهود التي يبذلها ابن سعود في استثمار هذه الأراضي الجرداء هي فوق قدرة البشر»، كما تناول اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم، وقال: «ابن سعود يقدر أكثر من غيره أنه بعد أن يوفق في تحضير البدو وترغيبهم في الزراعة وحرث الأرض ينبغي له أن ينشر التعليم وهو ما فعله مع شعبه».

وأضاف على هذا الجانب المؤرخ أرمسترونج، حيث قال: «إن الملك عبدالعزيز أنشأ المدارس في الكثير من القرى وتعاقد مع عدد من المدرسين من سورية ومصر الذين كانوا يدرسون المواد الشرعية والتطبيق العملي لهذه الدراسة في الحياة وقد أضاف إليها القليل من التدريب على الأمور الدنيوية والفنية.

أما في مجال الطرق والمواصلات فكان لابد بعد أن استطاع الملك عبدالعزيز توحيد المملكة العربية السعودية على مساحة شاسعة أن يربط أجزاء هذه المملكة المترامية الأطراف بوسائل المواصلات الحديثة، فبدأ التأسيس للمواصلات في البلاد، واستمر التطور لهذا القطاع فيما بعد حتى وصلت المواصلات والاتصالات إلى مستويات جيدة».

وفي ذات السياق، تحدث المؤرخ تويتشل قائلا: «لقد تم في عهد الملك ابن سعود تعبيد مجموعة من الطرق البرية كطريق جدة / مكة التي أنشئت سنة ١٩٣٨م وطولها ٤٦ ميلا وعبد طريق الرياض / الطائف / مكة وطريق آخر بين الرياض / الهفوف / الظهران / القطيف / الجبيل».

كما تحدث أرمسترونج عن تطور استعمال السيارات في عهد الملك عبدالعزيز، وقال: «لقد اشترى السيارات بنفسه وشجع الآخرين على الاقتداء به ففي عام ١٩٢٦ لم يكن هناك أكثر من ١٢ سيارة في البلد بأسرها وما أن حان عام ١٩٣٠م حتى كان هناك (١٥٠٠) سيارة تجري ما بين جدة ومكة وكلها كان يمكن تجنيدها عند الضرورة.

وكتبت شركة الزيت العربية الأمريكية آنذاك (أرامكو) عام ١٩٥٠م، تقريرا عن المواصلات بالمملكة أبرزت فيه الاهتمام البالغ الذي يبديه الملك عبدالعزيز نحو نهضة البلاد ومستقبلها وتقدمها، مشيرة إلى أن ذلك تجلى في السنوات الأخيرة فيما خطاه الملك عبدالعزيز من خطوات في سبيل إنشاء خط حديدي من الخليج إلى مدينة الرياض.

ولما كان الملك عبدالعزيز في أشد الحاجة إلى وسائل الاتصال الحديثة كضرورة من ضرورات التنمية ووسيلة من وسائل الأمن الداخلي والخارجي فقد اهتم بها أيما اهتمام وذلل الصعوبات والمشاكل التي واجهته في سبيل ذلك بالكثير من الحكمة والصبر»، وقال كنت وليمز عن بداية الاتصالات اللاسلكية بالمملكة: «إن ابن سعود تعاقد سنة ١٩٣٠م مع شركة (ماركوني) في لندن لجلب عدة أجهزة لاسلكية لبلده. وهناك جانب آخر من جوانب التنمية الشاملة أولاه الملك عبدالعزيز اهتماما بارزا وهو جانب الصحة والعلاج فقد كانت صحة الإنسان في المملكة مسؤولية نفسه وأهله وليس هناك التزامات من أحد أمام المواطنين.

فلما جاء الملك عبدالعزيز وأراد النهوض ببلاده كان لا بد أن يعنى بصحة الإنسان الذي يعد عماد التنمية الأول، وبدأ بتطبيق الطب الحديث على نفسه حينما عالج طبيب أمريكي إحدى عينيه.

وتوسع بعدها في استخدام الطب الحديث فأقام أربع مستشفيات سعة كل منها ٤٠٠ سرير وأربع محطات غيار للعمليات الجراحية سعة كل منها خمسة وعشرون سريرا، كما أدخل التطعيم ضد الجدري ونشر المصحات والمستشفيات المتنقلة والصيدليات والمستوصفات وشجع المواطنين على اتخاذ الاحتياطات الصحية والأساليب الحديثة للوقاية من الأمراض.

ولم تكن هذه العناية مقصورة على المواطنين وحدهم وإنما كانت أيضا ميسرة لحجاج بيت الله الحرام وقد ترك هذا أثره مع استخدام مياه الشرب النقية التي وفرها الملك عبدالعزيز للحجاج في تخفيض عدد الوفيات بين الحجاج».

كما تحدث الكثير عن جهود الملك عبدالعزيز في إنشاء أساس صحي في المملكة، ومن هؤلاء أرمسترونج، حيث قال: «إن الملك عبدالعزيز قد أنشا عددا من المستشفيات وأرسل صيدليات ومستشفيات متنقلة بين القبائل والقرى كانت تضم الأطباء الذين يرشدون الناس إلى استخدام الأدوية البسيطة».

وعند الحديث عن وسائل المدنية الحديثة في عمومها وسعي الملك عبدالعزيز للاستفادة منها وتسخيرها لصالح الأمة فقد أدرك (رحمه الله) أن الذي يعيش هذا العصر لا بد أن يأخذ بوسائله وأدرك أن معركة التحديث والتطوير صعبة قاسية ولكنه صمم على خوضها مهما كانت النتائج وقد خاضها بكل اقتدار ولم يفرط في مبدأ واحد من مبادئه فقد كان يعي تماما ما الفرق بين الوسائل المادية والقيم الروحية وكان على يقين أنه من الممكن أن تأخذ بكل وسائل العصر المادية دون أن تفقد من خصوصيتك شيئا ومن هنا راح يخوض معركة الأصالة والمعاصرة بكل قوة ومضى بثبات في مسيرة اللحاق بركب العصر.

وقال المؤرخ الألماني داكوبرت فون ميكوش: «أثبت ابن سعود أن بالإمكان إدخال وسائل الحياة الحديثة إلى الصحراء مع مراعاة عادات شعبه وتقاليده وتفكيره».

عبدالعزيز بن ماجد بن عبدالعزيز

استكمال مسيرة التوحيد

في الذكرى الثانية والثمانين لاستكمال مسيرة توحيد المملكة على يدي المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه- الذي جمع بإيمانه وحكمته شتات هذه الأمة بعد فرقة على هدي من كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) تغمر قلوب أبناء الوطن الأوفياء مشاعر الاعتزاز والفخر لما تحقق من معان كريمة للتلاحم بين القيادة والشعب الأبي الذي عرف بقيم الوفاء والنبل والتمسك بالشيم والقيم الأصيلة، ولا يستغرب على أبناء هذه الوطن الالتفاف حول قيادته الرشيدة في مختلف الظروف بفضل التمسك بالإسلام ومبادئه والتي جاءت لتكون هدى للناس ليعبدوا الله على بصيرة وليعمروا أرضه بالطاعات والأعمال الصالحة.

ففي مثل هذه المناسبة العزيزة نستذكر مآثر الرجال الأبطال والتضحيات والجهود المضيئة التي صاحبت بناء هذا الكيان العملاق، لنعبر عما تكنه صدورنا من محبة وتقدير لهذه الأرض المباركة ولمن كان لهم الفضل بعد الله تعالى في ما تنعم به بلادنا من رفاهية واستقرار حتى أصبحت المملكة اليوم مثلا يحتذى ونبراسا يقتدى به في التطور والنمو في مختلف الميادين العلمية والاقتصادية والثقافية والحضارية على مدى العقود الماضية منذ أن جمع الله شمل هذه البلاد على يد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن - طيب الله ثراه - وأبنائه من بعده الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد (رحمهم الله) وحتى العهد الزاهر لسيدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - حيث شهدت المملكة في عهده الزاهر مشاريع تنموية لا مثيل لها في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والصحية والتعليم والتنمية الاجتماعية، وكان للحرمين الشريفين وخدمة الحجاج والمعتمرين والزوار النصيب الأوفر ومن أولى أولويات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي أطلق مشروع أكبر توسعة في التاريخ للمسجد الحرام بمكة المكرمة وتوسعة جديدة لمسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تضاف إلى ما سبقها من مشاريع جبارة في المدينة المنورة التي أولتها القيادة العناية القصوى لما تمثله من عمق ديني وتاريخي للمسلمين في كافة أصقاع المعمورة.

إن ما تنعم به هذه البلاد المقدسة من أمن واستقرار وهدوء وطمأنينة وتنمية مستمرة يحمل أبناء الوطن سواء في موقع المسؤولية أو خارجة، مسؤولية جسيمة بأن نواصل العمل ونكثف الجهود للرقي بهذا الوطن والحفاظ على مكتسباته والأخذ بأيدي أبنائه إلى منافسة أقرانهم حول العالم في شتى مجالات العلم والمعرفة والإبداع وأن نعبر جميعا عن حبنا وانتمائنا لهذا الوطن بالعمل بكل أمانة وإخلاص ونبذل التضحيات لنتمكن من بناء غد أجمل ومستقبل مشرق لأبناء وبنات هذا الوطن الغالي.

وبهذه المناسبة الوطنية أرفع أسمى آيات التهاني والتبريكات لسيدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود (حفظه الله) وسيدي صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع وسيدي صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز وزير الداخلية، كما أهنئ الشعب السعودي وإخواننا المقيمين على هذه البلاد، مجددين العهد بالولاء لله ثم لقيادتنا ووطننا الغالي، سائلا المولى عز وجل أن يديم على هذه البلاد أمنها وعزها واستقرارها لتواصل المسيرة في خدمة مواطنيها والأمتين العربية والإسلامية والحمد لله رب العالمين.

* أمير منطقة المدينة المنورة